

الجسد في الأنثروبولوجيا المسيحية والإنسانية المتحولة
«دراسة مقارنة»

The Body in Christian Anthropology and the Transformed Humanity
A Comparative Theological Study

10.35781/1637-000-132-003

دكتورة: مضاي بنت سليمان البسام*

*أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المشارك
قسم الدراسات الإسلامية - جامعة الملك سعود

الملخص

هدف البحث إلى:

- تحليل التصورات الدينية للجسد في المسيحية والإنسانية المتحولة.
- بيان التطور التاريخي الفلسفي والعلمي لنظريات الجسد.
- رصد التطورات الفكرية والتقنية التي تقدمها حركة الإنسانية المتحولة في فهم الجسد وإعادة تشكيله.
- المقارنة بين الأنثروبولوجيا المسيحية المتحولة في تحديد هوية الجسد ودوره.
- منهج البحث: المنهج الوصفي التحليلي المقارن.

من أبرز نتائج البحث:

- يتأسس مفهوم الأنثروبولوجيا المسيحية على رؤية لاهوتية ترى الجسد جزءاً لا يتجزأ من الكيان الإنساني، مرتبطاً بالروح ارتباطاً وجودياً، وذا قيمة جوهرية في عقيدة التجسد والخلاص المسيحي.
- تنطلق الإنسانية المتحولة من خلفية علمانية - تقنية، تنظر إلى الجسد باعتباره بنية بيولوجية قابلة للتعديل والتحسين والاستبدال عبر الوسائل التكنولوجية، سعياً نحو تجاوز الطبيعة البشرية.

الكلمات المفتاحية: الأنثروبولوجيا المسيحية، الإنسانية المتحولة، فلسفة الجسد، عقيدة التجسد.

The Body in Christian Anthropology and the Transformed Humanity A Comparative Theological Study

Dr. Modhawi bint Suleiman Al-Bassam *

*Associate Professor of Creed and Contemporary Doctrines
Department of Islamic Studies – King Saud University

Abstract

Research Objectives:

- To analyze the religious conceptions of the body in Christianity and transhumanism.
- To trace the historical, philosophical, and scientific development of body theories.
- To observe the intellectual and technological advancements presented by the transhumanist movement in understanding and reshaping the body.
- To compare Christian anthropology with transhumanist perspectives in defining the identity and role of the body.

Research Methodology: Descriptive, analytical, and comparative approach

Main Findings:

- Christian anthropology is founded upon a theological vision that regards the body as an inseparable part of human existence, intrinsically connected to the soul, and of essential value within the doctrines of Incarnation and Christian salvation.
- Transhumanism, on the other hand, stems from a secular–technological background, viewing the body as a biological structure subject to modification, enhancement, and replacement through technological means in pursuit of transcending human nature.

Keywords: Christian anthropology, transhumanism, philosophy of the body, doctrine of the Incarnation.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين

أما بعد...

يشكل الجسد الإنساني عبر التاريخ محوراً جوهرياً في الفكر الديني، حيث تنظر إليه الأديان السماوية التي لم يطرأ عليها تحريف، كالإسلام وما بقي محفوظاً من اليهودية والنصرانية في أصولها غير المحرفة، باعتباره معجزة إلهية باهرة، تدل على عظمة الخالق سبحانه، وحسن صنعه، ويشكل احترامه وصونه جزءاً من علاقة الإنسان بخالقه؛ فهو ليس مجرد كيان بيولوجي؛ بل أمانة إلهية ينبغي حفظها وصونها لتحقيق مقاصد الشريعة في حفظ النفس والعقل والدين. وهو ليس ملكية مطلقة للإنسان يتصرف به كما يشاء، بل خلق من خلق الله له وظيفة عبودية وأخلاقية، مما يجعل أي تدخل في بنيته أو طبيعته اعتداء على حدود الله.

وفي المسيحية وبعد أن طالها التحريف والافتراء على الله، أصبح مفهوم الجسد خلقاً إلهياً على صورة الله ومثاله، منحوه قدسية خاصة، وجعلوه أداة للتجسد والفداء، وحاملاً لرسالة الخلاص - كما يزعمون -.

وفي المقابل، تشهد الإنسانية المعاصرة تحولات جذرية في تصورها للجسد إلى حد اعتبار أن هذا القرن هو قرن "الصراع مع الجسد" وشاهد ذلك ما يتبناه تيار الإنسانية المتحولة، الذي يسعى إلى تجاوز المحدوديات البيولوجية للجسد عبر التكنولوجيات المتقدمة، مثل الهندسة الوراثية، وزراعة الأعضاء الاصطناعية، والذكاء الاصطناعي، والنانو تكنولوجي، بهدف الارتقاء بالقدرات الجسدية والعقلية بل تجاوزه إلى إعادة تعريف ماهية الإنسان نفسه.

ومن هنا يأتي هذا البحث لدراسة تمثيلات الجسد في المسيحية وتحليل كيفية تعاملها مع قضايا الخلق، القداسة، والخلود والخلاص، في مقابل التصورات التي تطرحها الإنسانية المتحولة، وذلك عبر إطار أنثروبولوجي مقارن يكشف أوجه التلاقح والاختلاف، ويستشرف انعكاسات هذه التصورات على مستقبل الإنسانية، وقد رأيت عنوانه بـ (الجسد في الأنثروبولوجيا المسيحية والإنسانية المتحولة - دراسة مقارنة-).

إشكالية البحث:

تشكل مسألة الجسد الإنساني ركيزة أساسية في الأديان السماوية، باعتباره معجزة إلهية تحمل أبعاداً روحية وأخلاقية، ويشكل احترامه وصونه جزءاً من علاقة الإنسان بخالقه، إلا أن هذه المنظومة

العقدية قد نالها التحريف في المسيحية، والذي انعكس على البعد اللاهوتي للجسد متمثلاً في عقدية التجسد والقيامة، والخلاص الإلهي. وفي المقابل تطرح الإنسانية المتحولة رؤية معاصرة، إذ تعتبر الجسد مشروعاً مفتوحاً للتطوير والتجاوز عبر التكنولوجيا والعلوم الحديثة، بدءاً من الهندسة الوراثية وحتى الدمج بين الإنسان والآلة، ومن منظور علم الأنثروبولوجيا، فإن هذه الأفكار تكشف صراعاً عقائدياً وفلسفياً بين تصور ديني، وتصور ما بعد إنساني، مما يثير أسئلة حول أوجه الاتفاق والاختلاف بين النزعتين (المسيحية الإنسانية المتحولة) في مسألة ماهية الجسد الإنساني ومستقبله في ظل ثورة التقنية المعاصرة.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

- 1 - يكشف العلاقة بين المعرفة الدينية المسيحية والمعرفة العلمية التقنية، من خلال دراسة الجسد كموضوع تلتقي فيه الأسئلة الدينية مع الرؤى الفلسفية المعاصرة، مما يثري الحقول المعرفية في الأنثروبولوجيا الدينية والأنثروبولوجيا التقنية.
- 2 - يبين حدود التدخل في الطبيعة البشرية بحسب منظور الأنثروبولوجيا المسيحية والإنسانية المتحولة، مما يساهم في صياغة أطر معيارية للتعامل مع أطروحات الأنثروبولوجيا المسيحية والابتكارات التقنية حول الجسد.
- 3 - يقدم رؤية استباقية للتحديات التي قد تواجه الإنسانية نحو مشاريع ما بعد الإنسانية، سواء على مستوى القوانين والتشريعات أو على مستوى القيم الأخلاقية.
- 4 - يساهم في سد النقص في الدراسات العربية التي تعالج هذا التقاطع بين الفكر المسيحي والتقنيات ما بعد إنسانية.

أهداف البحث:

- 1 - تحليل التصورات الدينية للجسد في المسيحية والإنسانية المتحولة.
- 2 - بيان التطور التاريخي الفلسفي والعلمي لنظريات الجسد.
- 3 - رصد التطورات الفكرية والتقنية التي تقدمها حركة الإنسانية المتحولة في فهم الجسد وإعادة تشكيله.
- 4 - المقارنة بين الأنثروبولوجيا المسيحية المتحولة في تحديد هوية الجسد ودوره.

أسئلة البحث:

- 1 - ما التصورات الدينية للجسد في المسيحية وفي الإنسانية المتحولة؟
- 2 - ما التطورات التاريخية الفلسفية والعلمية لنظريات الجسد؟
- 3 - ما التطورات الفكرية والتقنية التي تقدمها حركة الإنسانية المتحولة في فهم الجسد وإعادة تشكيله؟
- 4 - ما أوجه الاتفاق والاختلاف بين الأنثروبولوجيا المسيحية والإنسانية المتحولة في تحديد هوية الجسد ودوره؟

منهج البحث:

أعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي المقارن.

الدراسات السابقة:

على الرغم من وجود دراسات محدودة في الأنثروبولوجيا المسيحية، ومناهج نقدية تجاه الإنسانية المتحولة، إلا أنه لا توجد حتى الآن - بحسب اطلاعي - دراسات جامعية أو منشورة تجمع بين مقارنة الجسد في الأنثروبولوجيا المسيحية والإنسانية المتحولة، فهذه الدراسة البينية تجمع بين اللاهوت والأنثروبولوجيا وفلسفة الجسد والإنسانية المتحولة؛ إذ تتناول مفهوم الجسد الإنساني في المنظومة الدينية والفلسفية ومناهج العلوم الإنسانية.

خطة البحث:

تضمن البحث مقدمة، وأربعة مباحث:

المقدمة، وفيها: أهمية البحث، ومشكلة البحث، وأهداف البحث وأسئلته، ومنهج البحث، والدراسات السابقة.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الأنثروبولوجيا المسيحية.

المطلب الثاني: تعريف الإنسانية المتحولة.

المبحث الثاني: التطور التاريخي لمفهوم الجسد ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الجسد في الفلسفة الغربية.

المطلب الثاني: الجسد في العلم الحديث والمعاصر.

المبحث الثالث: الجسد في التصور الأنثروبولوجي المسيحي وتصور الإنسانية المتحولة ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الجسد في التصور الأنثروبولوجي المسيحي.

المطلب الثاني: الجسد في تصور الإنسانية المتحولة.

المبحث الرابع: المقارنة بين مفهوم الجسد في التصور الأنثروبولوجي المسيحي والإنسانية المتحولة ، وفي مطلبان:

المطلب الأول: مقارنة مفهوم الجسد في التصور الأنثروبولوجي المسيحي (اللاهوت نيكولاي فيدوروف) والإنسانية المتحولة.

المطلب الثاني: مقارنة مفهوم الجسد في التصور الأنثروبولوجي المسيحي (الكاهن دي شاردان) والإنسانية المتحولة.

الخاتمة: وتتضمن النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي:

المطلب الأول: تعريف الأنثروبولوجيا المسيحية:

تتعدد وتختلف تعريفات الأنثروبولوجيا بحسب فروعها ومجالاتها ، ويعني من الناحية الاشتقاقية: علم الإنسان ، إذ إنه مكون من مفردتين يونانيتين (Anthropos) أي الإنسان و(Log) أي العلم... فمعناه اللفظي: دراسة الإنسان⁽¹⁾.

أما اصطلاحاً فهو: علم دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً وحضارياً⁽²⁾.

(1) ينظر: قاموس الأنثروبولوجيا، شاكرو مصطفى، ص 56، الأنثروبولوجيا أسس نظرية وتطبيقات عملية، محمد الجوهري، ص 28، النثروبولوجيا والأنثروبولوجيا الثقافية وجوه الجسد، إبراهيم الزهرة، ص 21.

(2) المراجع السابقة، نفس الصفحات.

ويطلق على علم الأنثروبولوجيا علم الإناسة، أو علم الجماعات البشرية وسلوكها وإنتاجها، أو علم الحضارات والمجتمعات البشرية⁽³⁾.

أما الأنثروبولوجيا المسيحية فهي (بحسب مجموع من كتب عنها): الدراسة اللاهوتية للإنسان في ضوء الإيمان المسيحي، أي فهم طبيعة الإنسان وغايته ومصيره كما يكشفه الكتاب المقدس ووفق تعاليم الكنيسة، ويبحث في أبعاده الجسدية والنفسية والروحية، وفي علاقته بالله والآخرين والعالم⁽⁴⁾.

المطلب الثاني: تعريف الإنسانية المتحولة ونشأتها:

في اللغة: الإنسانية المتحولة ترجمة لمصطلح (Transhumanism) ويعني: انتقال الإنسان من الهيئة العادية إلى هيئة أعلى، أو إنسانية تجاوزت قدراتها المعتادة⁽⁵⁾.

وفي الاصطلاح الفلسفي: حركة ثقافية وعلمية وفلسفية ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية كنتيجة للثورة التكنولوجية المتمثلة في الانتشار الواسع لتكنولوجيا المعلومات والتحكم الآلي، وتقنية النانو، إذ يدعو خبراء التحول البشري إلى إمكانية تعزيز القدرات البشرية جسدياً عن طريق التقنيات المتقاربة NBIC [النانوتكنولوجيا (N) البيوتكنولوجيا (B)، المعلوماتية (I)، علوم الدماغ (C)].
والهدف النهائي لخبراء التحول الإنساني هو التغلب تماماً على الحاجة إلى البنية التحتية البيولوجية (الجسد)، من خلال الاندماج الجزئي أو الكامل بين الإنسان والآلة⁽⁶⁾.

وقد نشأ تيار الإنسانية المتحولة بوصفه تياراً إيديولوجياً وثقافياً وفكرياً في الثمانينيات في كاليفورنيا التي خرج منها كل من: التكنولوجيات الجديدة (وادي السيلكون، وحركة العصر الجديد، معهد إيسالينسكي) وقد أسسه الفلاسفة والمستقبلون الذين تجمعوا في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس، ولعب الدور الرائد في ذلك الفيلسوف الإنجليزي وعالم المستقبلات ماكس أوكونور، الذي اتخذ اسماً مستعاراً "ماكس مود" في سنة 1990م، إذ قام بتطوير مذهبه الخاص:

(3) ينظر: مدخل علم الإنسان والأنثروبولوجيا، عيسى الشماس، ص 14.

(4) ينظر: Anthropology of chirstianity, J.Hay nes, N,8 Robirs

J.vol, 2, no.6, pp.113a-1158.

والأنثروبولوجيا المسيحية، الإنسان على صورة الله، فاضل سيداروس.

(5) ينظر: avoir Peur du lavenir, p.7 Jouest-Courturier

(6) ينظر: La revolution transhumanist, Fernyly p.6.

"مبادئ التفاؤلية" التي تعني درجة البقاء على قيد الحياة أو تنظيم نظام الذكاء، الذي حدد طرق انتقال الإنسان إلى كيان مستقبلي في سنة 1992م، إلى جانب "توم مور" الذي أنشأ معهد أكستروبي الذي ناقش مشاريع الداروينية المستقبلية الجديدة المقترحة على أنها أيديولوجية المستقبل، وقام بدمج منظور العصر الجديد مع التحررية التكنولوجية التي لا تعترف بأي حواجز طبيعية أمام تطور الإنسان.

وبحسب "مور" فإنه عندما تسمح لنا التكنولوجيا بالتغلب على أنفسنا في الجوانب النفسية والجينية والعصبية يمكننا نحن الذين أصبحنا بشراً مستقبليين، أن نحول أنفسنا إلى كائنات ما بعد بشرية، مخلوقات ذات قدرات جسدية وفكرية ونفسية غير مسبوقة، أفراد مبرمجين ذاتياً، يحتمل أن يكونوا خالدين لا يحددهم شيء.

وفي عام 1998م قاما زميلا مور "نيك بوستروم وديفيد بيرس" بتأسيس الرابطة العالمية للإنسانية المتحولة هدفها تحقيق اعتراف المجتمع العلمي.

وفي عام 2008م اكتسبت الإنسانية المتحولة بعداً أكثر إذ أصبحت تُعرف باسم الإنسانية زائد (Humanity plus) (7).

وفي عام 2009م قام راي كيرزويل مع بيتر ديامينديس بتأسيس جامعة التفرد التكنولوجي التي تحمل شعار "اجعل المستقبل ممكناً" والتي تقع في وادي السيلكون في مركز أبحاث "ناسا"، وكالة الفضاء الأمريكية الداعمة مالياً لها، وقد كرس "كيرزويل" جهوده في هذه الجامعة لتحقيق أكثر أحلامه من خلال تعليم دلالات اللغة البشرية للآلات من أجل تسريع تطوير ذكاء اصطناعي أكثر تعقيداً، وهو هدف بحسب كيرزويل سيتم تحقيقه بحلول عام 2040م، حيث ستتفوق الآلات على الذكاء البشري، ممهدة الطريق لعصر جديد، عصر التفرد التكنولوجي والذي يشير إلى أنه ابتداء من نقطة معينة في تطور الروبوتات والذكاء الاصطناعي سيتم تجاوز البشر تماماً واستبدالهم بآلات مستقلة (8).

واليوم تعتبر الإنسانية المتحولة حركة واسعة تضم تيارات متعددة، تيارات تكنوقراطية، وبيئية وتحررية، وأناركية (فوضوية) وما إلى ذلك، ويتحد فيها أشخاص يحملون وجهات نظر دينية متعددة، يعلن بعضهم عن "روحانية علمانية" لديهم، وبعضهم الآخر يعتبرون ملحدين، وآخرون يتبعون البوذية والهندوسية واتجاهات دينية في مجال تأثير "العصر الجديد" وتعتبر جمعية الإنسانية العابرة (المورمون)

(7) ينظر: ديكتاتورية المستنيرين وروح الإنسانية العابرة وأهدافها، تشينغفيروكفا أولغا، ترجمة: باسم الزعبي، ص 220 - 230، وما بعد الإنسانية الخلود الإنساني السيرانمي المدعوم بالتكنولوجيا، سهير صفوت، العدد (10) ص 20 - 22.

(8) ينظر: Le transhumanisme, jou set – courturier, pp61 - 63.

عضواً في (BTA)، وجميعهم يوحدتهم شيء واحد: الرغبة في التغلب على الطبيعة البشرية لتحقيق حالة جديدة نوعية "جسداً جديداً" و"عقلاً جديداً" إما عن طريق عدد كبير من التغييرات في الإنسان ذاته، أو نتيجة لخلق كائن اصطناعي⁽⁹⁾.

المبحث الثاني: التطور التاريخي لمفهوم الجسد:

المطلب الأول: الجسد في الفلسفة الغربية:

شكل الجسد في الفلسفة الغربية موضوعاً جدلياً، ومحوراً للصراع بين الميتافيزيقيا والمادية، ونقف هنا لنتتبع تطور مفهوم الجسد من الفلسفة اليونانية حتى الفلسفة الحديثة، ما بين التصورات الفلسفية والتصورات العلمية، لاستجلاء علاقتها وأثرها على المسيحية والإنسانية المتحولة.

1 - الفلسفة اليونانية:

أولت الفلسفة اليونانية اهتماماً بالغاً بالجسد والنفس، ويظهر هذا الاهتمام وبشكل أوضح في فلسفة أفلاطون، والذي كان يرى أن الجسد يمثل عائقاً أمام بلوغ المعرفة الحقة، إذ يحجب الحواس عن إدراك الحقائق الثابتة في عالم المثل، ففي الجمهورية في أسطورة الكهف، يربط أفلاطون بين الجسد والعالم الحسي المتغير، وبين النفس والعالم العقلي الثابت، الجسد وسيلة إدراك الحواس، لكنه يقيد العقل عن إدراك "المثل" التي تمثل الحقائق الأبدية، يقول أفلاطون: "ينبغي أن نطبق الحالة الخيالية على كل ما قررناه، فنقارن المنطقة التي تكشفها العين، داخل السجن، وضوء النهار، بقوة الشمس، والصعود وتأمل الدنيا العليا بصعود النفس إلى منطقة العقل"⁽¹⁰⁾.

فالكهف في نظر أفلاطون هو عالمنا الحسي وما فيه من سجن من المدة وقيود الحس والظلال أو الصور الخيالية هي ما يبدو في عالم الحس من موجودات حقيقية وهي خيال، والتماثيل المركبة على الصلبان خارج الكهف هي عالم المثل أو عالم الحقيقة، وبمقدار تخلص أنفسنا من علائق المحسوسات تبعد عن الأوهام وتشكل لها حقائق الموجودات⁽¹¹⁾.

ويرى أفلاطون أن النفس كانت واحدة قبل هبوطها من عالم المثل إلى هذه الدنيا، ولكن اتصالها بالبدن شوه طبيعتها ومسحها، ودعا إلى تطرق الكثرة إليها ومن ثم من أصبحت النفس بسبب حلولها

(9) ينظر: دكتاتورية المستبشرين، تشينغريكوفا أولغا، ص 228.

(10) جمهورية أفلاطون، أفلاطون، ص 119.

(11) ينظر: الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب، محمد بيسار، ص 102، تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، ص 74.

في أحد الأجساد وسطاً بين عالم المأل الأعلى وبين عالم الحس ولذا وجب أن تنقسم إلى ثلاثة نفوس تقوم كل واحدة بذاتها، بحيث تكون إحداها وسيلة للاتصال بعالم العقل وأخرى للاتصال بعالم الحس، والثالثة كرباط بين هذين الوجهين، وتعتمد لديه هذه التفرقة على أساس تشريحي بمعنى أن العقل مركزه الرأس والغضب مكانه القلب، والشهوة موطنها البطن، ولا شك أن أفلاطون بنى نظريته القائلة بتعدد النفوس في البدن الواحد على بعض آرائه الخاصة بالمدينة الفاضلة، فإنه كان يرى أن المدينة الفاضلة لا يصلح أمرها إلا إذا انقسمت إلى ثلاث طبقات مستقلة تربطها علاقات واضحة محددة، واضحة كذلك حال النفس فإنها لا تصلح إلا إذا انقسمت إلى ثلاثة أجزاء مستقلة⁽¹²⁾.

ورغم أن هذه النظرة تمنح النفس أولوية ميتافيزيقية، فإنها أسست لمبدأ فلسفي وديني خاصة في التراث الغربي والمسيحي، يضع الجسد في مرتبة أدنى، مما أثر فيما بعد على النظرة إلى الطبيعة الإنسانية.

وخلافاً لأفلاطون تبنى أرسطو في كتابه النفس صورة الجسد، على أساس أن الجسد هو مادة النفس ولا يمكن لأحدهما أن يوجد مستقلاً عن الآخر، "النفس كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة"⁽¹³⁾.

فالجسد ليس سجنًا للنفس، بل هو شرط وجودها المادي، فأرسطو لا يرى رأي أستاذه ولا يقول مثله بأن الحياة صفة خارجة عن الجسم؛ بل هي صفة ذاتية فيه، توجد فيه بالقوة، أي أنها توجد فيه على هيئة استعداد كامن، فليست النفس هي التي تخلع الحياة على الجسد، ولكنها لا تفعل سوى أن تخرج هذه الحياة من القوة إلى الفعل أي أنها هي التي تجعلها ظاهرة بعد أن كانت خفية⁽¹⁴⁾.

وقد قسم أرسطو النفس إلى ثلاثة مراتب:

- النفس النباتية: مسؤولة عن التغذية والنمو، وتشارك فيها كل الكائنات الحية.
- النفس الحيوانية: مسؤولة عن الحس والحركة، وتشارك فيها الحيوانات مع الإنسان.
- النفس الناطقة: مسؤولة عن التفكير العقلي، وتختص بالإنسان⁽¹⁵⁾.

(12) ينظر: في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام، محمود قاسم، ص 58 - 60.

(13) ينظر: النفس، أرسطو، تحقيق: أحمد الأهواني، ص 42.

(14) في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق، محمود قاسم، ص 67 - 69.

(15) ينظر: النفس، أرسطو، ص 76 - 81.

فكل مرتبة ترتبط بوظيفة جسدية محددة، والإدراك العقلي مرتبط بالجسدي.

وعليه فإن نظرية الجسد عن أرسطو أكثر توازناً مقارنة بنظرية أفلاطون، فهو لم يحتقر الجسد؛ بل اعتبره عنصراً جوهرياً في تحقيق الكمال، إلا أنه جعله خادماً للعقل ولا قيمة له بذاته.

2 - الفلسفة المسيحية الوسيطة:

في فكر القديس أوغسطين الجسد مخلوق من صنع الله، يقول في الاعترافات: "لذا صعدت هكذا شيئاً فشيئاً من الأجسام إلى الروح التي تحس بواسطة الجسم... وأبعدت تفكيري عن طغيان العادة، مفلتة من حشود الأوهام المتناقضة، لتكشف بأي نور كانت تغمر، وهي تصرخ دون أي تردد أن اللا متغير ينبغي أن يكون أفضل من المتغير"⁽¹⁶⁾.

ويرى أوغسطين أن الخلاص في المسيحية يشمل الجسد والنفس معاً، وأن القيامة تعني استعادة الجسد في صورة ممجدة⁽¹⁷⁾.

أما توما الأكويني فقد دمج بين التصور الأرسطي للجسد (المادة - الصورة) واللاهوت المسيحي، فعنده أن كل كائن جسدي مؤلف من هيولي (هيلي) ومن صورة (مورفي)، وفي أعلى درجات سلم الكائنات البدنية يوجد الإنسان المؤلف من روح وجسد⁽¹⁸⁾.

يقول توما الأكويني: إن النفس الإنسانية مفارقة من وجه وحالة في المادة من وجه، أما كونها مفارقة فيحسب القوة العقلية لأن القوة العقلية ليست صورة آلة جسمانية كما القوة البصرية هي فعل العين، فإن العقل فعل ليس يمكن مباشرته بآلة جسمانية كالأبصار، وأما كونها حالة في المادة فمن حيث إن النفس التي لها هذه القوة هي صورة الجسد وهي غاية التناسل الإنساني، فإذا نما قال الفيلسوف أن العقل مفارق لعدم كونه لآلة جسمانية⁽¹⁹⁾.

(16) الاعترافات، أوغسطين، تحقيق: إبراهيم غالي، ص 214 - 215.

(17) المرجع السابق، ص 487 - 489.

(18) ينظر: الفلسفة الوسيطة، أدوارد جونو، ص 135.

(19) ينظر: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، زينب الخضري، ص 252.

ويقول: "فإن النفس التي هي مبدأ الحياة الأولى ليس جسماً، بل فعلاً للجسم كما أن الحرارة التي هي مبدأ التسخين ليست جسماً بل فعلاً للجسم" (20).

والنفس عنده هي صورة الجسد كما عند أرسطو إذ يقول: "كل العناصر العقلية لا مادية ولا يطرأ عليها الفساد، وليس للملائكة أجساد، أما في البشر فالروح متحدة مع الجسد... وليس في الإنسان ثلاثة أرواح بل روح واحدة" (21).

ويؤكد الأكوييني أن القيامة ليست مجرد عودة الروح، بل استعادة الجسد في حالة ممجدة، وهذا توفيق بين الأرسطية والعقيدة المسيحية من جهة أخرى. يقول توما الأكوييني: "من البديهي إذن أن نفس الإنسان سيبعث من جديد وليس إنساناً آخر؛ لأن كل العناصر التي تكوّن هذا الإنسان ستتحده بعضه ببعض... فإن نفس النفس، ونفس الجسد هما اللذان سيبعثان" (22).

ورغم اعتبار الجسد عنصراً جوهرياً لدى أوغسطين وتوما الأكوييني؛ إلا أنه مرتبط بالخلاص الأبدي.

3 - الفلسفة الحديثة والمعاصرة:

طرح رينيه ديكارت في كتابه تأملات في الفلسفة الأولى أفكاراً مؤسسة للعلاقة بين الجسد والفكر في الفلسفة الحديثة والمعاصرة باعتبار أن الجسد آلة مركبة من أجزاء متجاورة ومترابطة حسب تصميم قلبي... آلة جداً منظمة من طرف الإله، والروح لا توجد في الجسد وجود الريان في السفينة، بل ككائن يسكن في جميع أنحاء الجسد.

يقول ديكارت: أول ما ترشدني الطبيعة إليه في صراحة هو أن لي بدنأ، وأني لست مقيماً فيه كالنوتي في سفينته، بل إنني متحد به اتحاداً يجعلني وإياه شيئاً واحداً، بحيث إن بدني لو أصابه جرح لم يقتصر أمري على أن أدرك ذلك الجرح بالذهن، كما يدرك النوتي في سفينته عيباً، بل أشعر بالألم منه، فأنتبه إليه" (23).

(20) المرجع السابق، ص 253.

(21) ينظر: الفلسفة الغربية، بتراندرسل، ص 243.

(22) ينظر: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، زينب الخضري، ص 368.

(23) التأملات في الفلسفة الأولى، رينيه ديكارت، ترجمة: عثمان أمين، ص 191.

ويرى ديكارت أن النفس روح بسيط مفكر، والجسد امتداده، يقول ديكارت: "إذا ذهب من كوني أعرف بيقين أنني موجود وأنني مع ذلك لا ألاحظ أن شيئاً آخر يخص بالضرورة طبيعتي أو ماهيتي سوى أنني شيء مفكر، استطعت القول إن ماهيتي إنما انحصرت في أنني شيء مفكر، أو جوهر كل ماهيته أو طبيعته ليست إلا التفكير، ومع أن من الممكن أن يكون لي جسم اتصلت به اتصالاً وثيقاً"⁽²⁴⁾.

ولذلك يقول ديكارت: "قد تبين لي الآن أن الأجسام ذاتها لا تُعرف على الحقيقة بالحواس أو بالقوة الواهمة (المخيلة) بل بالذهن وحده، وأنها لا تعرف لكونها تُرى وتلمس، بل لكونها تفهم أو تدرك بالفكر، فإني أرى بوضوح أنه ما من شيء هو عندي أيسر وأوضح من معرفة نفسي"⁽²⁵⁾.

ويأتي فريدريك نيتشه ليقب ثنائية الجسد والروح ليعن ألوهية الجسد إذ يقول: "ما كان هذا الإله إلا إنساناً"⁽²⁶⁾، "ما الجسد إلا مجموعة آلات مؤتلفة للعقل، ومظاهر متعددة لمعنى واحد، إن هو إلا ميدان حرب وسلام، فهو القطيع وهو الراعي، إن آلة جسدك إنما هي أداة عقلك الذي تدعوه روحاً، أيها الأخ، إن هو إلا أداة صغيرة وألحوبة صغيرة لعقلك العظيم"⁽²⁷⁾. ويتكلم عن التقدم بالجسد فإنه ارتقاء إلى طبيعة راقية حرة وفضيلة ونمط طبيعي يلعب، ويحق له أن يلعب بمهمات عظيمة"⁽²⁸⁾.

فالجسد أعظم من الروح، وما الروح إلا وسيلة له.

وهذا التصور للجسد سيفتح الباب أمام الفلسفات المعاصرة مثل فلسفة الجسد والفينومينولوجيا لإعادة النظر في مركزية الجسد في التجربة الإنسانية.

فالجسد في فلسفة الفينومينولوجيا أنموذج القصدي، إذ الجسد أداة للتعبير والوجود، فوجود الإنسان يتحقق عبر الجسد، والجسد ليس وعاءً منفصلاً عن الوعي، بل هو الوسيط الذي يفتح على العالم.

(24) المرجع السابق، ص 94.

(25) المرجع السابق، ص 96.

(26) هكذا تكلم زرادشت، فريدريك نيتشه، ترجمة: فليكس فارس، ص 68.

(27) المرجع السابق، ص 72، 73.

(28) ينظر: غسق الأوثان، فريدريك نيتشه، ترجمة: فاطمة خالد، ص 157.

يقول ميرلوبونتي: "الجسد هو ما يجعلني أجتذر في العالم، بل هو محور العالم الذي أعيه بواسطته"⁽²⁹⁾.

المطلب الثاني: الجسد في العلم الحديث والمعاصر:

شهد القرن السابع عشر وما بعده تحولاً جذرياً في دراسة الجسد الإنساني، إذ انتقل من كونه موضوعاً للتأمل الفلسفي أو الرؤية اللاهوتية إلى موضوع للبحث التجريبي القائم على الملاحظة والقياس والتجربة، هذا التحول كان نتيجة للثورة العلمية التي قادها غاليليو، وكبلر، ونيوتن، والتي أسست لنظرة ميكانيكية للكون امتدت لتشمل الجسد البشري.

الجسد في البيولوجيا التطورية:

قدم تشارلز داروين (1809 - 1882م) نظرية لأصل الأنواع من خلال كتابه: "أصل الأنواع" الذي قدم فيه نظرية التطور والارتقاء التي أعطت أول مبدأ إلهادي لفهم الحياة، حيث أشار داروين إلى تسلسل جميع الأنواع التي تحيا في الأرض حالياً من كائنات منقرضة تختلف عنها، وعزا هذه الاختلافات إلى تراكم تغييرات بسيطة حدثت ببطء متناه واعتبر داروين أن الاتجاه الذي سارت فيه هذه التغييرات كان يحكمها مبدأ الانتخاب أو الاصطفاء الطبيعي⁽³⁰⁾.

وقد تطورت دراسة الجسد من التشريح الكلاسيكي إلى البيولوجيا الجزيئية وعلم الجينوم، حيث أصبح فهم الجسد يعتمد على دراسة بنيته الميكروسكوبية والوراثية، ما أتاح تطوير علاجات دقيقة للأمراض، وقد شهدت العقود الأخيرة تحولات عميقة في دراسة الجسد الإنساني بفضل التقدم العلمي في مجالات البيولوجيا الجزيئية، والمعلوماتية الحيوية، والتقنيات الحيوية، وأضحى الجسد موضوعاً لإعادة التشكيل والتحسين، لا مجرد الفحص والتشخيص، وذلك عبر ثلاثة محاور رئيسية: مشروع الجينوم البشري، المجال الحيوي، والحياة الاصطناعية، هذه التطورات لا تعيد تعريف حدود الجسد فحسب، بل تفتح الباب أمام أسئلة فلسفية وأخلاقية حول هوية الإنسان ومستقبله.

انطلق مشروع الجينوم البشري رسمياً عام 1990م، بقيادة تحالف دولي من العلماء بهدف تحديد التسلسل الكامل للحمض النووي (DNA) في الإنسان، وفك شيفرة الجينات التي تحدد الخصائص

⁽²⁹⁾ ينظر: L'ieuk et l'esprit, Merleau Pority Maurice

⁽³⁰⁾ ينظر: البيولوجيا ومصير الإنسان، سعيد الحفار، ص 160.

البيولوجية. وبالتالي غير المشروع تعريف الجسد من كونه كياناً فيزيولوجياً إلى كونه برنامجاً وراثياً قابلاً للقراءة والتعديل من خلال:

- إمكانية التشخيص المبكر للأمراض الوراثية.
- تطوير العلاجات الجينية التي تستهدف الخلل الجيني مباشرة.
- ظهور مفهوم تحسين الإنسان (Human Enhancement) عبر تعديل الجينات.

وبالمختصر فإن فكرة مشروع الجينوم يتلخص في أمرين: أولاً: فهم سر الحياة بما فيها الهرمونات بواسطة الهندسة الوراثية، ثم أكبر عدد من الأنسجة البشرية كي تستعمل قطع غيار للجسم البشري، ينم مشروع الجينوم عن الخوف العظيم للإنسان من المرض والموت وهو أكبر هاجس بالنسبة إلى العلم البيولوجي المعاصر، إن فك شفرة الجينومية سيفسر كيف تعمل الخلايا على خلق الحياة وكيف تسبب الموت -كما يزعمون-، ومن ثم سيتمكن العلماء من تغيير تركيبها تجنباً لأسباب المرض والشيخوخة، إن مشروع الجينوم هو الإنسان السليم تماماً؛ مما يجعله أقرب إلى فكرة تحسين النسل أو تنقيته، ثم إن اكتشاف الشفرة الوراثية وإدراك أهميتها في الكشف عن أسس الإنسان الجسدية والعقلية قد دفع العلماء والفلاسفة إلى النظر إلى الجسد باعتباره خلية جذعية أو جينوماً، فسقطوا في نزعة اختزالية كما فعل الفلاسفة الأوائل من قبلهم عندما اعتبروا الجسد روحاً، وبعدهم العلماء الذين اختزلوا الجسد في الدماغ ثم في الذكاء⁽³¹⁾.

أما في المجال الحيوي الذي يدمج بين الحياة البيولوجية والتقنية، حيث يصبح الجسد جزءاً من شبكة تفاعلية تشمل البيئة والآلات والأنظمة الرقمية، فقد تمثلت تطبيقاتها في:

- دمج الأعضاء البيولوجية بأجهزة إلكترونية، الأطراف الصناعية الذكية، الزراعات العصبية.
- ظهور ما يسمى السايبورغ (Cyborg)، حيث يمتد الجسد الطبيعي بقدرات اصطناعية.
- الطب النانوي الذي يعمل على مستوى الجزيئات داخل الجسم.
- استخدام برامج العقل الإلكتروني للتحليل الوراثي.

(31) ينظر: مقال تطور مفهوم الجسد، من التأمل الفلسفي إلى التصور العلمي، تبس يوسف، مجلة عالم الفكر، العدد (4)، ص 70

- إعادة زرع خلايا وأنسجة وأعضاء من شخص لآخر.
- عمليات التلقيح الصناعي.
- إمكانية تحديد صفات المولود وجنسه، وإمكانية تخليق المواد الصناعية، وإعادة فبركة الإنسان عن طريق الأعضاء الصناعية⁽³²⁾.
- وفي مجال الحياة الاصطناعية فقد سعى العلماء إلى خلق أنظمة حية أو شبيهة بالحياة باستخدام مواد صناعية أو برمجيات حاسوبية لمحاكاة أو توسيع وظائف الكائنات الحية.
- ومن تطبيقاتها على الجسد:
- إنتاج أنسجة وأعضاء اصطناعية عبر الطباعة الحيوية ثلاثية الأبعاد.
- بناء خلايا اصطناعية ذات وظائف مبرمجة.
- استخدام الذكاء الاصطناعي في محاكاة العمليات الحيوية لتصميم علاجات فردية.

لقد بدأ الإنسان بزرع الأعضاء الحيوية، ثم بصناعتها لينتقل إلى صناعة الجسد برمته، أولاً في صورة مادية (الروبوت) ثم في صورة افتراضية أكثر من الواقع نفسه، تحاول التقنية العلمية المعاصرة مماثلة الخيال الافتراضي (اليوتوبيا) بالواقع الشاحب، وهو التوجه الذي يعبر عن أيديولوجيا تتأسس على قوة التقنية والعلم.

ولقد قام كريستوفر لانجتون ومجموعة من الباحثين في معهد سانتيفيه بخلق كائنات افتراضية (أفراد إنسانية) في حواسيبهم، تمتلك هذه الكائنات جميع أوصاف الإنسان الجسدية والفكرية، وبإمكانهم أن يكونوا خالدين إذا منحت لهم هذه الخاصية، يقول لانجتون: "نحن مبدعون آلهة، نستطيع خلق خلفائنا الخاصين، هذه الكائنات ستخلفنا في القرن المقبل، ستكون خالدة وكاملة"⁽³³⁾.

وهكذا يدخل الجسد في القرن الحادي والعشرين مرحلة غير مسبوقه، إذ أصبح مجالاً للتعديل الجيني، والتكامل مع الآلة، والابتكار الاصطناعي، ورغم أن هذه التصورات تحمل وعوداً طبية

⁽³²⁾ ينظر: البيولوجيا ومصير الإنسان، سعيد الحفار، ص 253 - 254.

⁽³³⁾ ينظر: مقال تطور مفهوم الجسد من التأمل الفلسفي إلى التصور العلمي، يوسف تيبس، مجلة عالم الفكر، العدد (4)، ص 72 -

وتكنولوجية هائلة فإنها تفرض أسئلة فلسفية وأخلاقية حول الهوية الإنسانية، وحول الحدود التي ينبغي أن يقف عندها التقدم التكنولوجي في مسألة التحول الجسدي، وما مدى انسجام تلك الرؤى مع المسيحية، وهذا ما نرى إجابته من خلال مباحث هذه الدراسة، والتي ستكشف جانباً من العلاقة بين الأنثروبولوجيا المسيحية والإنسانية المتحولة.

المبحث الثالث: الجسد في التصور الأنثروبولوجيا المسيحية والإنسانية المتحولة:

المطلب الأول: الجسد في التصور المسيحي:

يعتبر الجسد بالنسبة للكنيسة المسيحية كياناً ذا قيمة لاهوتية وأنثروبولوجية عميقة، لا يختزل في كونه مادة أو وعاء للروح؛ بل يُنظر إليه على أنه مخلوق إلهي يدخل في صميم الهوية البشرية، وتبلغ هذه النظرة ذروتها في عقيدة التجسد، حيث "صار الكلمة جسداً وحل بيننا" [يوحنا: 1: 14]، ويعنون بذلك أن الله - تعالى عما يقولون - اتخذ جسد المسيح صورة له، وحلّ بين الناس بصورة إنسان وهو الابن المسيح⁽³⁴⁾، فما من وحدة أوثق من هذه الوحدة بين الله وخليقته، فالله نفسه أصبح واحداً من خلّاقته⁽³⁵⁾.

وهذا التصور (الجسدي - اللاهوتي) كما يرى بولس - قد مرّ بثلاث مراحل هي:

أولاً: كان عيسى إنساناً سماوياً سبقته عناصره الروحية في الوجود، فوجوده الجسدي كان في السماء، ومبدأ حياته من الروح الإلهية نفسها، وليس هو الروح.

ثانياً: جاء عيسى إلى الأرض ليُنشئ إنسانية جديدة يحررها من أثقال الخطايا، بقبوله أن يعيش عيشة الإنسان المحقّر، وأن يموت مئة الآثم المشينة.

ثالثاً: شخصيته هي المكان الميتافيزيقي، الذي يجتمع فيه الإله والخلقة؛ فهو صورة الإله الخفية أو هو أول الخلق⁽³⁶⁾.

(34) ينظر: حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، القس فايز فارس، ص 76 - 77، دراسات في اليهودية والنصرانية، ص 296.

(35) ينظر: الكنيسة الأرثوذكسية إيمان وعقيدة، تيموثي وير، ص 30.

(36) ينظر: المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جينبير، ص 149.

وهذه الأفكار والرؤى من بولس، كانت لتقرير أن عيسى ليس إنساناً فقط، بل تهدف تلك الرؤى إلى نتيجة واحدة، هي الخروج بالمسيح عن نطاق البشرية ليقترّب من الإله⁽³⁷⁾.

وبهذا يتبين أن عقيدة التجسد هي جوهر اللاهوت المسيحي ومفتاح فهم نظرته إلى الإنسان والجسد، فالتجسد ليس مجرد ظهور إلهي؛ بل دخول الله الحقيقي في الجسد البشري، في شخص المسيح الذي هو - بحسب الإيمان المسيحي - "إله حق وإنسان حق"، فالتجسد وعاء الحضور الإلهي، ومن هنا يصبح الجسد في المسيحية موضوعاً للتقديس، وعن هذه الأهمية يقول الأرشمندريت توما البيطار: "ركن العقائد عندنا هو عقيدة التجسد، كل العقائد الأخرى تتبثق منها أو تصب فيها، هذا في الحقيقة لأن الكنيسة بطبيعتها تجسدية، ملء اللاهوت فيها وملء الناسوت كل ما فيها إلهي وإنساني معاً"⁽³⁸⁾.

وخلاصة التصور الكنيسي للجسد هو ما تصوره الكنيسة الكاثوليكية في تعليمها الرسمي "يشترك جسد الإنسان في كرامة "صورة الله": إنه جسد بشري لأن النفس الروحانية تبث فيه الحياة، والشخص البشري بكامله معد لأن يصبح في جسد المسيح، هيكل الروح.

الإنسان وجد بجسده ونفسه، وهو بوضعه الجسدي نفسه يجمع في ذاته عناصر العالم المادي، بحيث تبلغ فيه قمّتها، وترفع بحرية إلى الخالق صوت حمدها، فلا يجوز للإنسان إذن أن يحتقر الحياة الجسدية، بل عليه أن يعامل جسده بالإحسان والإكرام لأنه خليفة الله ومعد للقيامة في اليوم الأخير"⁽³⁹⁾.

وبذلك يتحقق - بحسب الاعتقاد المسيحي - الحب الإلهي للبشر المتمثل بالفداء والخلاص من خطيئة آدم والخطيئة الموروثة لذريته كما قال يوحنا: "وهكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" [يوحنا: 16/3].

والقيامة عقيدة راسخة في الإيمان المسيحي، يقول بولس: "ولي رجاء بالله في ما هم - أيضاً - ينتظرونه: أنه سوف تكون قيامة للأموات، الأبرار والأثمة" [أعمال الرسل: 24 / 15].

ويقول: "وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم" [رسالة بوليس: 11/8].

(37) ينظر: المرجع السابق، ص 150.

(38) نقاط على الحروف، 18 كانون الأول 2005م، السنة الثامنة، الأرشمندريت توما البيطار، ص 34.

(39) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، 74/1 - 85، فقرة 364.

يقول القديس نيقوريموس الآلوسي: "الحديث عن القيامة الذي هو قاعدة إيماننا الأرثوذكسي، لأنه لم يكن هناك قيامة الأجساد لم يقم المسيح، وإن لم يقم المسيح، ولم يتجسد يضمحل ويمحى إيماننا المسيح كله"⁽⁴⁰⁾.

المطلب الثاني: الجسد في خطاب الإنسانية المتحولة:

إذا كان الجسد يُعد في معظم الفلسفات الحديثة والمعاصرة والأنثروبولوجيات الدينية على أنه مكوّن جوهري للكائن البشري وحامل للهوية، فإن الإنسانية المتحولة تنزع عنه هذه المركزية وتضعه موضع تحول، في ظل رؤيتها المستقبلية للإنسان، وترى أن الإنسان الحالي يعيش في حالة قيد بسبب محدودية إمكانياته الجسدية الذي يعتره المرض والشيخوخة والموت، ومن هذا المنظور سعت الإنسانية المتحولة إلى تجاوز الجسد لا عن طريق الروحانيات كما في بعض الطرق الصوفية، بل عبر - كما يزعمون - تحسينه أو استبداله، أو حتى الاستغناء عنه، متوجين ذلك بخطابات مختلفة مما سنفصله في النقاط التالية:

أولاً: خطاب التحسين الجسدي:

يرى بعض منظرو الإنسانية المتحولة أنه يجب تحسين الجسد البشري أو تجاوزه تكنولوجياً باعتباره منصة تشغيل بيولوجية قابلة للتعديل والتطوير، تماماً مثل الأجهزة، فالهوية الإنسانية لا تتجذر في الجسد؛ بل في المعلومات: في الوعي، الذاكرة، البرمجيات الدماغية، وهي مكونات قابلة للتطوير، وبناء على ذلك يسعى منظرو هذا الخطاب إلى تطوير قدرات الإنسان العادية العقلية والجسدية والنفسية ليصبح أقوى وأصح، من خلال محاربة الشيخوخة، الأمراض، والآلام، وذلك بالاستعانة بالتقنيات المتطورة، ويزعمون أن هذا تكريساً لحقوق الإنسان والتي من أهمها الحق في اختيار الحياة التي يرغب فيها والجسد الذي يعيش به، وبهذا يصبح خطاب الإنسانية المتحولة في هذه المرحلة (تحديداً) امتداداً لإنسانية الأنوار من حيث الاعتقاد بمركزية الكائن البشري وتقديس حقوقه خاصة الحرية⁽⁴¹⁾.

إذن أنصار هذا الخطاب يدعون إلى تعزيز الإنسانية وتطويرها دون إلغائها أو تقويضها تماماً، وهذا يكون بتحقيق شرطين: الانتقال من العلاج إلى التحسين لتعزيز القدرات وبلوغ الكمال والذي

(40) رسائل الأحاد بعد العنصرة، دير مار ميخائيل، ص 89.

(41) ينظر: مقال ما بعد الإنسانية وأزمة القيم في العلوم افسنانية، خيرة بورنان، مجلة ألف، العدد (1)، ص 619.

يتمظهر في تحسين النسل والتعديل الجيني، والأطفال حسب الطلب، وقهر الموت والشيخوخة، والنظر إليها كمرض يمكن تخطيه والقضاء عليه بهدف إطالة العمر وبلوغ الخلود⁽⁴²⁾

ويتزعم هذا النوع من الخطاب الجمعية العالمية للإنسانية المتحولة

(WTA) (World Transhumanist Association)

وقد عرفت التحول البشري الذي تسعى إليه بأنه: "حركة فكرية وثقافية تؤكد إمكانية تحسين الحالة الإنسانية بشكل جذري من خلال العقل التطبيقي، خاصة من خلال تطوير وجعل التقنيات متاحة على نطاق واسع للقضاء على الشيخوخة وتعزيز القدرات الفكرية والجسدية والنفسية للإنسان بشكل كبير"⁽⁴³⁾.

ومن أهداف الجمعية:

- استشراف مستقبل بشري أفضل من خلال تخطي المحددات الجسدية للإنسان.

- إحلال التوافق بين التكنولوجيا والإنسان، أي أنسنة التقنية.

- الإقرار بحقوق الإنسان في تعديل وتعزيز قدراته البيولوجية⁽⁴⁴⁾.

وحول هذه الجمعية يقول نيك بوستروم أحد مؤسسي هذه الجمعية: "أنهم يهدفون مثل النزعة الإنسانية إلى التقدم المستمر في جميع الاتجاهات، من خلال تقديم بعض التعديلات على الطبيعة البشرية في سبيل تحقيقه، وأنهم يشككون في القيود التقليدية البيولوجية والوراثية التي تحد من تقدمنا المحتمل، ويؤكدون على أن تحقيق التعديل الإنسان أمر أخلاقي ومن الخطأ عرقلته"⁽⁴⁵⁾.

⁽⁴²⁾ ينظر: Larevolution transhumaniste, Luc Ferry, p.27

⁽⁴³⁾ ينظر: The Transhumanist FAQ, Nick Bostrom et al, v2.1. world transhumanist Association

⁽⁴⁴⁾ ينظر: ساعتنا الأخيرة: إنذار من عالم، مارتن ريز، ترجمة: مصطفى إبراهيم، ص 384 - 385.

⁽⁴⁵⁾ ينظر: La revolution transhumaniste, Ferry, p44.

ولهذا يقول بوستروم: "سيأتي يوم تتاح لنا الفرصة لزيادة قدراتنا الفكرية والجسدية والعاطفية والروحية بشكل يفوق ما هو ممكن في الوقت الحالي، سنخرج من طفولة الإنسانية لندخل في حقبة ما بعد الإنسانية"⁽⁴⁶⁾.

وتعتمد تكنولوجيا تحسين الجسد الإنساني أو ما يسمى بـ "تعزيز الإنسان" على التقدم في الهندسة الوراثية (الجينية) وعلم الصيدلة والهندسة الحيوية والسيبرانية والنانو تكنولوجي، ولقد أصبح ممكناً في هذه المالات استحداث تقنيات تحسن من وظائف الإنسان إلى ما هو أكثر من المدى السوي"⁽⁴⁷⁾.

ثانياً- خطاب التخلي عن الجسد:

وهذا الخطاب نلمسه في الحركة التي يدعو أنصارها ومنهم رأي كيرزويل إلى دمج الإنسان مع الآلة، لإنتاج نوع إنساني جديد يمثل القطيعة مع الإنسان بالمفهوم الحالي، ويتجاوزه باستبداله بآلات مستقلة من خلال خلق نوع جديد قد يكون روبوتات أو أجهزة كمبيوتر أو أي شريحة، من خلال العمل على نقل معلومات العقل البشري وبيانات الدماغ إلى جهاز كمبيوتر كنوع من الخلود الفكري وتجاوز الحاجة إلى الجسد، وهذا ما وضحته شركة جوجل سنة 2013م، إذ تتبأت بأنه سيتم تحقيق نوع جديد من الخلود يسمى بالخلود الرقمي خلال استنساخ العقل، بل اتجه البعض إلى القول بإمكانية استنساخ الإنسان بعد موته ثم زرع رقاقة أو شريحة محملة بوعيه وذكرياته داخل دماغ المستنسخ الذي يعيش منذ الوهلة الأولى من حياته بخبرة الإنسان السابق⁽⁴⁸⁾.

ومن هنا تتبأ كيروزويل بالإصدار الثالث من الكائن البشري قبل 2050م، بفضل تطور تقنيات الذكاء الاصطناعي إذ سيتخلص الإنسان من جسده المادي البيولوجي ويعيش داخل حوامل إلكترونية رقمية⁽⁴⁹⁾.

ويتبنى هذا الخطاب أيضاً الفيلسوف والمفكر في مجال الذكاء الاصطناعي هانس مورافيك والذي يرى أن البشر هم في الأساس آلات سيتفوق عليهم يوماً من الأيام آلات أكثر وأشد كمالاً، ويرى

(46) المرجع السابق، ص 29.

(47) ينظر: تعزيز الإنسان والهوية الشخصية، فيليب بري، ضمن كتاب موجبات جديدة في فلسفة التكنولوجيا، جان كير وآخرون، ترجمة: شوقي جلال، ص 269.

(48) ينظر: الخلود البيولوجي، حسن خاطر، ص 131 - 132.

(49) ينظر: التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي، نيك بوستروم وستيفن بكو، ص 25.

أن فرص بقاء الإنسان ضئيلة أمام الكائنات الاصطناعية لأنها تتميز بذكاء أعلى؛ لأن الجسم البشري مقارنة بالآلة أقل سرعة وأقل قوة، وعند النظر إليه من خلال منظور النموذج المعلوماتي، فإنه لا يصبح سوى آلة غير ماهرة وزائدة عن الحاجة مهمتها حمل العقل⁽⁵⁰⁾.

وقد أعلن أبرز منظري هذا الخطاب هانز مورافيك في كتابه: "أطفال العقل: مستقبل الروبوت والذكاء البشري"، بقرب موعد تنزيل الوعي البشري إلى جهاز كمبيوتر، من خلال - كما يتخيل - تقنيات الجسد إلى نمط معلوماتي، ويعاد تجميعه ونقله إلى جهاز الكمبيوتر⁽⁵¹⁾.

ويشرح بوستروم خطوات نقل عقل الإنسان إلى الحاسوب باستخدام التكنولوجيا وهي، أولاً: إنشاء ما يكفي من مسح ضوئي دقيق وتفصيلي لمخ إنسان محدد. ثانياً: نستخدم من بيانات المسح الضوئي هذه صورة آلية تعمل على إعادة بناء الشبكة العصبية بأبعادها الثلاثة التي غرست المعرفة في المخ الأصلي، وتجمع هذه الخارطة بنماذج حاسوبية عصبية لمختلف أنماط الأعصاب التي تحتوي على الشبكة. ثالثاً: محاكاة كل البنية الحاسوبية على حاسوب فائق القوة، إذا نجح الإجراء سيؤدي إلى تكاثر كيني للعقل الأصلي، مع بقاء الذاكرة والشخصية سليمة دون أن تمس على حاسوب، حيث يوجد النموذج الآن على هيئة برنامج Software.

بناء على ذلك إذا كان الفعل مفيداً تكنولوجياً فإن سيناريو التفرد المتضمن انفجار الذكاء مع التغيير شديد السرعة يبدو واقعياً وقائماً على إمكانية النمو الكمي لذكاء الآلة⁽⁵²⁾.

ومن هنا أنكر كيرزويل وغيره من منظري خطاب التجاوز الجسدي وجود شيء مثل الطبيعة البشرية الثابتة، إذ لا يوجد قيود أو محددات مفروضة على تكوين البشر أنفسهم، فالقيد الوحيد يتعين على البشر التغلب عليه هو الجسم البيولوجي، لهذا فهم يدعون إلى احتضان التكنولوجيا باعتبارها من ينقذنا من الطبيعة البشرية الكلاسيكية، وتحرر أنماط فهم ما يعنيه أن يكون الإنسان إنساناً، ويسعون للوصول إلى عالم مستقبلي يصبح فيه جسد الإنسان متروكاً وراءنا، ومنه يحصل البشر على حريتهم في إنشاء وتصميم وتعزيز ذواتهم بما يناسبهم⁽⁵³⁾.

(50) ينظر: P85. l'adieu au corps, David Le Breton.

(51) ينظر: 85 – 48 p, Katherine Hayles, How we became posthuman.

(52) ينظر: مستقل الإنسانية ضمن كتاب موجات جديدة في فلسفة التكنولوجيا، نيك بوستروم، ترجمة: شوقي جلال، ص 327 – 328.

(53) ينظر: التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي، نيك بوستروم وستيفن بكو، ص 15.

وانطلاقاً من ذلك قال جيمس تريفل أحد مؤلفي الذكاء الاصطناعي: "الآلات ستكون فخورة بنا" (54).

المبحث الرابع: المقارنة بين مفهوم الجسد في التصور الأنثروبولوجي المسيحي والإنسانية المتحولة:

المطلب الأول: مقارنة بين التصور الأنثروبولوجي المسيحي نيكولاي فيدوروف والإنسانية المتحولة:

الأنثروبولوجيا المسيحية المتحولة أو (الإنسانية المتحولة اللاهوتية) هو تيار فكري ينطلق من مبادئ اللاهوت المسيحي ليفسر ويعيد صياغة أهداف الإنسانية المتحولة في إطار ديني روحي، معتبراً أن التطور التقني والتحول الجسدي والعقلي للبشر يمكن أن يكون جزءاً من خطة إلهية أشمل لتحقيق كمال الإنسان. وينظر إلى التقنيات التحويلية كتفسير للنعمة الإلهية أو الخلاص في المسيح، وتستخدم ضمن التوجيه الإلهي لنمو الإنسان نحو صورته الكاملة، وتسعى إلى التوفيق والتكامل بين التقنيات التحويلية (مثل الذكاء الاصطناعي، والهندسة الجينية، والتكامل السيبراني - البيولوجي) مع التصور المسيحي عن الإنسان باعتباره مخلوقاً على صورة الله وفي مسار خلاصه.

ويمثل هذا التيار كنموذج لخطاب (التحسين الجسدي) اللاهوتي نيكولاي فيدوروفيتش فيدوروف، وهو فيلسوف روسي مسيحي أرثوذكسي ومؤسسة ما يعرف بـ "الفكر الفلسفي الروسي الكوني" أو "المشروع الفلسفي المشترك".

يلتقي مع الإنسانية المتحولة في فكرة تعزيز الإنسان والسيطرة على الموت، لكنه يرفض جوهر التفرد التكنولوجي إذ أنه - بحسبه - يقود إلى فقدان وحدة البشر أو تجاوز الإنسان نفسه لصالح ذكاء غير بشري، مشروعه هو "إنسانية متحولة روحية جماعية" أكثر منه "تفرد تكنولوجي" فردي أو ذكاء اصطناعي مستقل، يدعو فيدوروف إلى استخدام أحدث العلوم والتقنيات للتغلب على حدود الطبيعة، ومن جهة أخرى يتشبث بالعقيدة الأرثوذكسية ويعتبرها الأساس لمشروعه.

أطلق فيدوروف على فلسفته اسم "المشروع المشترك" (Obshchee delo)، وهو برنامج شامل يهدف إلى توحيد البشرية حول غاية كونية واحدة: وهي التغلب على الموت وإعادة الحياة لكل من عاش على الأرض، ويعتبر أن هذا الواجب ليس مسألة اختيارية أو دينية فحسب، بل هو التزام أخلاقي وعلمي يقع على عاتق جميع البشر. وفي نظره أن البشرية أسرة واحدة مترابطة، وكل الأجيال - الماضية

(54) هل نحن بلا نظير، جيمس تريفل، ترجمة: ليلي الموسوي، ص 18.

والحاضرة والمستقبلية - يجب أن تتعاون لإصلاح العالم المادي والروحي معاً، ولا يمكن لهذا الإصلاح أن يكتمل إلا بعودة الموتى إلى الحياة؛ لأن بقاء الموت يعني استمرار الانقسام بين الأحياء وأجدادهم⁽⁵⁵⁾.

لم يكن مشروع فيدوروف محصوراً في العلوم المادية أو اللاهوت، بل كان يحمل بعداً باطنياً اسكاتولوجياً - أخروياً - واضحاً، فقد رأى أن سيطرة الإنسان على قوى الطبيعة بما في ذلك قوى الحياة والموت، هي امتداد لعملية الخلق الإلهي، وأن على الإنسان أن يصبح "أداة الخالق" في إتمام هذا العمل.

وكان يرفض الفصل الحاد بين الدين والعلم، معتبراً أن كليهما يجب أن يلتقيا في خدمة هدف واحد: إحياء الحياة على مستوى كوني، فالعلوم الطبيعية يجب أن تتبنى غايات روحية، واللاهوت يجب أن يفتح على الإمكانيات العلمية الجديدة بدلاً من الاكتفاء بالتأمل النظري، ولقد حاول التوفيق بينهما، ليتبلور الاعتقاد المسيحي فيما يتعلق بالجسد ومستقبله عند فيدوروف في النظرية التالية:

- يرى أن التجسد والقيامة في الإيمان المسيحي يفرضان على البشر المشاركة النشطة في إعادة الحياة للجميع، فبحسبه أن الله "تجسد" في شخص المسيح، وهذا التجسد يضيف قيمة أبدية على الجسد البشري، بالتالي، العناية بالجسد، وإعادته بعد الموت، هو تأكيد على هذه الكرامة المتجسدة، وهذا يتطلب العلم والتقنية بوصفهما وسائل ضرورية لحدوث ذلك فالهدف الأساسي للفكر الفيديوروفي هو قيامة الأموات بيولوجياً من خلال التكنولوجيا، وأن الخلاص لا يكتمل إلا بإعادة كل إنسان إلى الحياة.

- لا يقتصر الفداء على الروح، بل يجب أن يمتد إلى الجسد المادي، وهو ما يجعله يطرح فكرة "القيامة العامة" كمهمة إنسانية وليس فقط كمعجزة إلهية.

- تنظيم الطبيعة والتحكم في قواها هو استمرار لعمل الخلاص الذي بدأه المسيح، والإنسان يستطيع التحكم في قوى الطبيعة وحتى قهر الموت من خلال التكنولوجيا، ومن الممكن قيامة جميع البشر عندما يقوم العقل النظري بدراسة الموت والحياة، والعقل العلمي الذي يعيد الحياة وبالتالي يهزم الموت، بتنفيذ إرادة الابن الذي أعطي الوصية لكي يجتمع الجميع، وإرادة الروح القدس، ولذلك هو يرفض أن تبقى القيامة "انتظاراً سلبياً" أو "حدثاً غيبياً" فقط، ويرى أن التكنولوجيا جزء من التدبير الإلهي إذا وضعت في سياق المحبة البنوية والعدالة الكونية، بمعنى ربط التكنولوجيا بالمصير الإلهي للبشرية، أي أن يصبح الإنسان شريكاً لله في تحقيق القيامة والخلاص.

(55) ينظر: The Russian cosmists, the esoteric- Futurism of Nikolai Fedorov and his Followers, George.

ولتحقيق ذلك دعا إلى مشروع علمي موحد للبشرية لتطوير وسائل مادية وتقنية لإعادة الأموات إلى الحياة، وهو ما يمكن ربطه برؤية مبكرة لمفهوم "التعزيز الإنساني" حيث يتم تجاوز حدود الحياة والموت⁽⁵⁶⁾.

وبعد فيدوروف، ظهر تيار من المفكرين الروس الذين تبنا بعض أفكاره ودمجوها في إطار فلسفي ولاهوتي أوسع، وأطلق عليهم مسمى "الكوزميون الدينيون" ومن أبرز هؤلاء:

- فلاديمير سيرجيفيتش سولوفيف: شاعر وفيلسوف مثالي، اشتهر بفكرة "التأليه" أو ارتقاء الإنسان إلى مرتبة إلهية بالمشاركة في الطبيعة الإلهية، كانت رؤيته الأخلاقية والروحية منسجمة مع فكرة فيدوروف عن اتحاد العلم والدين في مشروع كوني، لكنه أعطاه طابعاً صوفياً وشاعرياً واضحاً.
 - سيرغي نيكولايفيتش بولغاكوف: لاهوتي أرثوذكسي بارز، طور مفهوم "الحكمة الإلهية" كعنصر رابط بين الله والعالم، مؤكداً أن التاريخ البشري يتجه نحو تحقيق غاية إلهية شاملة.
 - بافيل ألكسندروفيتش فلورينسكي: كاهن وعالم ومهندس، لقب أحياناً بـ "ليوناردو الروسي" نظراً لتعدد معارفه، جمع بين الأبحاث العلمية العميقة والرؤية الروحية، وكان من أشد المعجبين بكتابات فيدوروف.
 - نيكولاي ألكسندروفيتش بيرديايف: فيلسوف ديني ركز على حرية الإنسان ودوره الخلاق في التاريخ، ورغم تحفظه على بعض أفكار فيدوروف حول "الإلزام الجماعي"، فقد شاركه القناعة بأن المستقبل الإنساني يجب أن يكون مشروعاً روحياً كونياً⁽⁵⁷⁾.
- هؤلاء المفكرون، رغم اختلاف توجهاتهم، كانوا يشتركون في قناعة أن المصير البشري يتجاوز حدود الحياة الفردية القصيرة، وأن الخلاص يجب أن يكون جماعياً وكاملاً، يشمل الجسد والروح معاً.

المطلب الثاني: مقارنة مفهوم الجسد في التصور الأنثروبولوجي المسيحي (الكاهن دي شاردان) والإنسانية المتحولة:

أما نموذج خطاب التخلي الجسدي في الإنسانية المتحولة فنموذجه الكاهن اليسوعي الفرنسي بيير تيار دي شاردان، وهو فيلسوف روحي، عُرف بمحاولته للتوفيق بين الإيمان المسيحي ونظرية التطور، نشأ في عائلة كاثوليكية متدينة، والتحق بالرهبة اليسوعية في سن مبكر 1899م، درس الفلسفة

⁽⁵⁶⁾ ينظر: The Russian cosmists, the esoteric- Futurism of Nikolai Fedorov and his Followers, George. M.yount.pp.46-71

⁽⁵⁷⁾ ينظر: المرجع السابق، ص 92 - 144.

واللاهوت في معاهد يسوعية بفرنسا وإنجلترا، حصل على تدريب علمي متقدم في الجيولوجيا وعلم الحفريات في السوربون بباريس. رُسم كاهناً كاثوليكياً عام 1911م، ويعتبر اليوم شخصية رائدة في "اللاهوت التطوري" داخل بعض الأوساط الكاثوليكية ويرى بعض الباحثين أنه كان "سلفاً روحياً" لحركة ما بعد الإنسانية، رغم أن غايته كانت لاهوتية مسيحية وليست مادية⁽⁵⁸⁾.

وقد حاول التوفيق بين الاتجاه الكاثوليكي مع خطاب التفرد التكنولوجي وأيد أفكار التحول والتحسين البشري وزعم تقاربها مع العقيدة المسيحية خاصة ما يتعلق بالعقائد الأخروية، ومن هنا تركزت أبحاثه على الهندسة الوراثية، وتسارع التقدم التكنولوجي نحو ذكاء أعلى من الذكاء البشري في محاولة منه للتوفيق بين المسيحية والتطور التقني المعاصر المذهل في مجتمع مضطرب روحياً تغزوه شكوك العلم ولا تقنعه حجج رجال الدين إذ أصبح الإنسان مجرد خرافة، ومن هنا قدم دي شاردان نظرة جديدة لتفسير أصل الكون ومستقبله من خلال ما أسماه بمبدأ التعقيد ومضمونه: أن المادة في بداية ظهورها كانت بسيطة ثم بدأت في النمو وتنظيم نفسها حتى وصلت إلى درجة معينة من التعقيد⁽⁵⁹⁾.

ويعتقد "دي شاردان" أن ارتقاء الكون تجاه التعقيدات العالية يؤدي إلى تمركزها وهذا دليل على أنها تحمل الوعي، يقول: إذا كانت هذه الجسيمات شديدة التعقيد، فمن الضروري أن تكون شديدة التمركز بشكل مترابط، وبالتالي فهي تحمل بذرة الوعي، وكلما كان الكائن الحي أكثر تعقيداً كلما كان أكثر وعياً، وعلى العكس كلما كان الوعي أكثر وجوداً كلما أصبح أكثر تعقيداً⁽⁶⁰⁾.

وبحسب وجهة نظره يعتبر الإنسان آخر الجزئيات التي تكونت، وأكثرها تعقيداً، وفي الوقت نفسه الأكثر عمقاً في مركزها، ومن ثمة الأكثر وعياً، إذ يقول: "من الواضح أن الإنسان ليس الأول لكن من ناحية أخرى، هناك في داخله بالتأكيد آلاف الملايين من الخلايا في دماغه، حيث وصلت المادة حالياً إلى أقصى حد من التعقيد المرتبط بهذا التنظيم المركزي من الناحية الزمانية والهيكلية،

(58) ينظر: الموقع الرسمي لدي شاردان

<https://teiharddechardin.org/teihard-de-chardin/teihards-publication/?utm-source=chatgpt.com>

Teilhard de chard in and Transhumanism, Eric steinhart.p1-22

The Future of man-Pierre Teilhard de chardin,p.105-113. ينظر: (59)

(60) ينظر: المرجع السابق، نفس الصفحات.

لا شك في أن الإنسان في حدود ما نعرف، هو آخر "الجزئيات"⁽⁶¹⁾ التي تشكلت والتي أصبحت الأكثر تعقيداً والأكثر تمركزاً، ثم تأتي الحقبة التالية وهي حقبة التفكير المشترك الذي يطلق عليه "دي شاردان" "النوسفير" ويعني التفكير الثقافي - الاجتماعي المشترك "التفكير الكوني الفائق".

يقول: "هذه الشبكة التي تحصرنا أكثر وأكثر من الروابط الاقتصادية والنفسية التي نعاني منها، وهذه الخاصة المتزايدة للعمل والإنتاج والتفكير بشكل متضامن والتي تثير قلقنا، ماذا سيصبحون فعلاً عندما ينظر إليهم من هذه الزاوية الجديدة؟ إنهم ليسوا إلا الخطوط الأولى للكائن الفائق، الذي بكونه تنظيمًا يتألف من خيوط أفرادنا يسعد بتحويلنا إلى الآلات وإلى الذوبان فحسب، بل ليحملنا في كنف تعقيد أكبر إلى وعي أعمق بشخصيتنا"⁽⁶²⁾، وهذا المفهوم سيتطابق مع ما يصفه منظرو التفرد التكنولوجي عن شبكة الذكاء العالمي، حيث تصبح العقول البشرية والذكاء الاصطناعي مدمجة في شبكة واحدة تعمل كوحدة متكاملة (الإنترنت - الحوسبة الحسابة - أنظمة الذكاء الاصطناعي) حيث تمثل تطبيقاً عملياً لما تصوره شاردان من تكثيف الترابط العقلي.

إن تطور الفكر البشري وترابطه غير "النوسفير" سيصل إلى ذروته في اتحاد روعي بالمسيح الذي يمثل نقطة الالتقاء النهائية بين الإلهي والبشري، أي التجسد في صورته الكونية، في المسيح الذي جمع في ذاته السماء والأرض والإله والإنسان.

ويرى شاردان أن هذا الاندماج الاجتماعي والتقدم التكنولوجي سيؤدي وبصورة متسارعة نحو نقطة نهائية أسماها "أوميغا" والتي يشرحها بحسب قوله: "لقد قصدت بهذا الاسم "أوميغا"... قطباً نهائياً ومستقلاً للوعي، متشابكاً بما فيه الكفاية مع العالم ليتمكن من جمع العناصر الكونية المتراكمة في أقصى درجات تمركزها من خلال الترتيب التقني - أن يكون قادراً - بفضل طبيعته الفوق تطورية على الهروب من التراجع المحتوم الذي يواجهه أي بنية متكونة من مواد مكونة من الزمان والمكان.

فعند "شاردان" نقطة "أوميغا" تمثل الجاذبية التي تجذب التطور نحو التوحيد والاتحاد، -بحسب المفهوم الفلسفي اللاهوتي - التأمل الفائق والقبول للحب الإلهي، وبناء على هذا التأمل والقبول يصبح المسيح شخصية ذات بعد كوني يعتمد عليه في طوير الإنسانية نحو المزيد من الكمال والوحدة"⁽⁶³⁾،

⁽⁶¹⁾ ينظر: The phenomenon of man, Teilhard de Chardin pp.147-180.

⁽⁶²⁾ ينظر: The Future of Man, Pierre Teilhard de Chardin, p49.

⁽⁶³⁾ ينظر: The Phenomenon of Man, Teilhard de Chardin, p.p.254-286.

في مستقبل غير متوقع سيتلاشى "يسوع التاريخ تدريجياً" أمام يسوع المستقبل أي المسيح في هذه الإعادة النهائية يمثل نقطة أوميغا.

إن نظرية نقطة "أوميغا" مسيحية بعمق حيث إن مرحلتها النهائية هي المسيح، ويشير بها إلى مرحلة تسارع التقدم التكنولوجي نحو "أوميغا" حيث ستصبح الذكاء البشري ذكاءً فائقاً. غير أن الفرق الجوهرى أن شاردان يرى "أوميغا" غاية روحية في "المسيح الكوني" بينما يراها منظرو التفرد التكنولوجي نتيجة لتطور تقني مادي⁽⁶⁴⁾.

ويبدو واضحاً أن فكرة التفرد التكنولوجي تشترك في الكثير مع علم الآخرة الديني التي وصفت بـ "الطوبى النهائية"، إذ يمثل التفرد ذروة تحول متسارع للإنسانية تحت تأثير التقدم التكنولوجي العلمي، وتعني ماهيته استحالة وصف المستقبل بعد التفرد، وهذا تشبيه واضح برؤية العالم المسيحية التي ستأتي بعد الدينونة الأخيرة واضح، إذ يستحيل كما يقول المسيح في الإنجيل، وصف أولئك الذين يعيشون قبل نهاية الزمان كيف ستكون القدس الجديدة، و"قيامة الموتى". ينظر العديد من المؤمنين بالتحول الإنساني التفرد على أنه نوع من "المجيء الثاني"، أضيف إلى ذلك أن التنبؤ بالتواريخ المتعلقة بتغيير عصري هو أمر نموذجي للمسيحية الخلاصية، وخاصة الإنجيلية الأمريكية⁽⁶⁵⁾.

وأخيراً يرى المفكر اللاهوتي "دي شاردان" أن التقدم التكنولوجي قد شرح لنا مفهوم الفداء المسيحي وابتكر فكرة المستقبل كنوع من الواقع الميتافيزيقي القادم، حيث سيتم تحقيق جميع الأحلام اليوتوبية للإنسان، وأنه ينبغي النظر إلى المستقبلين وخبراء التحول الإنساني على أنهم لاهوتيين علمانيين ملتزمين بتطوير نظريات لأجل الذرية التكنولوجية القادمة⁽⁶⁶⁾.

وبعد هذا العرض لنموذجي الأنثروبولوجيا المسيحية المتحولة نقف لتحديد نقاط الاتفاق والاختلاف بين الأنثروبولوجيا المسيحية والإنسانية المتحولة بتنوع خطابها.

⁽⁶⁴⁾ ينظر: Le transhu manisme, Beatrice Jousset-courtier, pp100-115.

⁽⁶⁵⁾ ينظر: La revolution transhumaniste L.Ferry, p.39.

⁽⁶⁶⁾ ينظر: ما بعد الإنسان، روزي بريدوتي، ترجمة: حنان مظفر، ص 123.

أولاً: نقاط الاتفاق:

- الرغبة في تجاوز القيود البيولوجية: تشترك الإنسانية المتحولة واللاهوتية المتحولة، في السعي إلى تحسين حالة الإنسان الجسدية أو الوجودية، أو استبداله وإن اختلفت الوسائل والدوافع.
- قبول التقنية كوسيلة للتطور: جميع الاتجاهات ترى في التكنولوجيا أداة محورية، وإن كان فيدوروف ودي شاردان يضعانها داخل إطار أخلاقي - روحي، بينما الإنسانية المتحولة (للتحسين والتفرد) قد يتعاملان معها براغماتياً أو حتمياً.
- الإيمان بأن الإنسان يملك طبيعة لا حدود لها، ولا بد أن تتطور بالاعتماد على التقدم العلمي والتكنولوجي.
- السعي إلى الخلود أو البقاء الممتد: سواء كان الخلود روحياً جسدياً (اللاهوتية المتحولة) أو رقمياً بيولوجياً (الإنسانية المتحولة والتفرد التكنولوجي)، فإن الهدف المشترك هو تجاوز الموت.
- الكل يفترض أن الإنسان ليس الكائن النهائي، بل هو في مسار نحو حالة أكثر كمالاً، ظهر في المسيحية من خلال مراحل تجسد الإله في المسيح، وفي فلسفة فيدوروف من خلال قيامة الأموات بيولوجياً من خلال التكنولوجيا، وعند دي شاردان نقطة أوميغا، فالله تجسد في المسيح وهذا يضفي قيمة أعلى وأبدية على الجسد، أو ما يسمونه بالمسيح الكوني.
- كلا التصورين يقودان إلى فصل الإنسان عن ماهيته، كنتيجة للتحكم التقني.
- اللاهوت المسيحي والإنسانية المتحولة يشتركان في كونهما يمنحان الإنسان القوة ليصنع نفسه، ويشارك الله في فعل الخلق.

ثانياً: نقاط الاختلاف:

- البعد الديني حاضر بوضوح في اللاهوتية المتحولة (فيدوروف ودي شاردان) كغاية نهائية للتطور، وإن كان حضوراً شكلياً صورياً، وغائب أو ثانوي في الإنسانية المتحولة والتفرد، حيث يستبدل برؤية علمانية أو حتمية تكنولوجية.
- الإنسانية المتحولة والتفرد الجسدي لديهما: كيان قابل للاستبدال أو التحول الجذري، بينما فيدوروف ودي شاردان يعتبران الجسد جزءاً جوهرياً من الهوية الإنسانية يجب ترقيته أو تحويله لا استبداله.
- في اللاهوتية المتحولة، التجسد طريقه إما بالمهمة المشتركة أو النوسفير، وفي الإنسانية المتحولة يكون بتهجين الإنسان مع الآلة.
- في اللاهوتية المتحولة: الخلاص (تطوري - روحي) في اكتمال الخليقة بالمسيح الكوني، أو خلاص جماعي، ومرتبطة بقيامة مادية أو روحية جسدية، وفي الإنسانية المتحولة (التحسين الجسدي): الخلاص يأخذ شكل تحرر بيولوجي أو نقل وعي، وفي التفرد التكنولوجي: القيامة التقليدية غير

معترف بها ، وقد تُستبدل بمحاكاة رقمية أو إعادة خلق جديدة.

وفيما يلي جدولاً أوسع للمقارنة بين الإنسانية المتحولة ، والتفرد التكنولوجي واللاهوتية المتحولة

(نيكولا فيدوروف - بيير تيار دي شاردان)

المحور	الإنسانية المتحولة (خطاب تحسين الجسد)	التفرد التكنولوجي (خطاب تخطي الجسد)	اللاهوتية المتحولة (خطاب تخطي الجسد) بيير تيار دي شاردان	اللاهوتية المتحولة (خطاب تحسين الجسد) نيكولا فيدوروف
طبيعة الجسد	مرحلة بيولوجية قابلة للتعديل أو الاستبدال لتحقيق نموذج أعلى وعمر أطول ، أو الخلود	الجسد غير ضروري؛ ولابد من تجاوزه والتركيز على الانتقال إلى صينغ ما بعد بيولوجية بفضل الذكاء الاصطناعي المتفوق.	جزء من مسار تطوري روحي - مادي نحو "الجسد المجد" في المسيح الكوني.	مرحلة بيولوجية قابلة للتعديل أو الاستبدال لتحقيق نموذج أعلى وعمر أطول ، فالإله تجسد في المسيح وهذا يضفي قيمة أعلى وأبدية على الجسد.
الموقف من الجسد المادي	قابل للاستبدال أو التحويل من خلال التقنية	قد يستغنى عنه كلياً إذا تم دمج الوعي بالأنظمة الذكائية أو الروبوتية	يتحول تدريجياً عن طريق التقنية نحو الاتحاد الروحي بالمسيح عبر النوسفير	غير قابل للاستبدال؛ ويجب إعادة الجسد
غاية التطوير الجسدي	تحسين القدرات وتجاوز القيود البيولوجية ، لأجل هزيمة الموت	الوصول إلى مستوى وعي خارق وقدرات غير محدودة عبر التقنية ، متجاوزاً حدود الجسد البشري.	إيصال الجسد إلى الاتحاد بالمطلق عبر التطور الروحي - التكنولوجي من خلال الوصول إلى	إعادة الجسد إلى كماله ضمن مشروع جماعي لإنهاء الموت ، لأجل هزيمة الموت

علاقة الجسد بالإله	غير موجودة؛ غالباً علمانية أو لأدرية	غير موجودة؛ التطور يقوده الذكاء الاصطناعي، ويستبدل أي مفهوم روحي برؤية حتمية تكنولوجية.	المسيح الكوني هو اكتمال التطور. (نقطة أوميغا)	نقطة أوميغا بدمج العقل البشري بالذكاء الاصطناعي.	بتنفيذ إرادة الابن.
الخلاص الجسدي	الإنسان يستطيع التحكم في قوى الطبيعة وقهر الموت من خلال التكنولوجيا	الاندماج مع الذكاء الصناعي لتفادي الفناء؛ الخلود عبر الوعي الرقمي.	خلاص تطوري - روحي في اكتمال الخليقة بالمسيح الكوني، والإنسان التفرد نوع من المجيء الثاني.	خلاص مادي وروحي جماعي بإحياء جميع البشر، من خلال التكنولوجيا وهو استمرار لعمل الخلاص الذي بدأه المسيح	
قيامة الجسد	تستبدل برفع الوعي رقمياً أو الإحياء البيولوجي المستقبلي من خلال التكنولوجيا	لا تعترف بالقيامة التقليدية؛ "إحياء" الأفراد قد يكون عبر محاكاة رقمية أو إعادة خلق معرفية.	قيامة روحية - جسدية عند بلوغ "نقطة الأوميغا"	قيامة مادية حرفية لكل البشر، ضمن "العمل المشترك".	

ختاماً يجدر التنبيه إلى أن الفاتيكان قد عارض وبشدة استخدام هذه التقنيات من خلال اللجنة اللاهوتية العالمية في بيان صدر عام 2002م بعنوان "الشراك والخدمة"، الأشخاص البشر المخلوقون على صورة الإله" جاء في البيان أن تغيير الهوية الجينية للإنسان باعتباره شخصاً بشرياً، من خلال إنتاج كائن

أعلى من الإنسان هو أمر غير أخلاقي وغير قابل للتصور؛ لأن التحسين الحقيقي لا يمكن أن يأتي إلا من التجربة الدينية والعائلة⁽⁶⁷⁾.

ونقول: إن سرديّة الجسد المتحرر التي تمكنه من تطبيق أي تحويل؛ بل ترى ضرورته هي في الأساس تُكرس ما يعاكس مزاعمها؛ إذ تطوّع الجسد ليساق ويوجه بسهولة، وجميع معايير الحرية التي تعزى إلى الجسد تسلبه من صاحبه لتسلمه إلى حلول مقترحة سريعة التغير، وتدفعه إلى ألوف من "أصحاب الأجساد" وقد صاروا عبارة عن عوامل تحذيرية برانية... وعليه فمن الضرورة إضفاء صفة على الجسد تتفخ فيه الروح، بدلاً من اختزاله، وإن أيسر اليسير مما بقي من فتات تراكم الحضارات العريقة سيكون أجدر بالثقة، وأعلى إنسانية، وأمتن فيما يبنيه، من أمانى الحرية والسعادة البرّاقة التي تغرسها الحداثة السائلة والإنسانية المتحولة، وعلاوة على ذلك فهي تتناول الجسد في ظلال الموت اليقين، لا في ظل ارتياب الحياة، وهذا الرأي يضع نصب عينيه الجسد باعتباره أمانة وقدسية الجسد⁽⁶⁸⁾.

⁽⁶⁷⁾ ينظر: La legitime parole: de l'Eglise sur le transhumanisme, Nathanael Garric, p17

⁽⁶⁸⁾ ينظر: حضارة البشرية - الجسد وما بعد الجسد في الثقافة المعاصرة، سير تاج تيمور دمير، ترجمة: أحمد فهد، ص 124 - 126.

الخاتمة: وتتضمن نتائج البحث:

أظهرت الدراسة جملة من النتائج التي يمكن تلخيصها في المحاور الآتية:

- يتأسس مفهوم الأنثروبولوجيا المسيحية على رؤية لاهوتية ترى الجسد جزءاً لا يتجزأ من الكيان الإنساني، مرتبطاً بالروح ارتباطاً وجودياً، وذا قيمة جوهرية في عقيدة التجسد والخلص المسيحي.
- تنطلق الإنسانية المتحولة من خلفية علمانية - تقنية، تنظر إلى الجسد باعتباره بنية بيولوجية قابلة للتعديل والتحسين والاستبدال عبر الوسائل التكنولوجية، سعياً نحو تجاوز الطبيعة البشرية.
- بيّنت الدراسة أن الفلسفات الغربية، منذ الفلسفة اليونانية تقلل من شأن الجسد في مقابل الفلسفة المادية التي تعطيها مركزية، وصولاً إلى الفكر المعاصر الفيمولوجي الذي يدمج بين الأبعاد النفسية والاجتماعية والثقافية للجسد.
- أسهمت النظريات العلمية الحديثة في إعادة صياغة فهم الجسد باعتباره نظاماً بيولوجياً معقداً يمكن التحكم فيه جزئياً عبر الهندسة الوراثية والتقنيات الطبية المتقدمة.
- في التصور الأنثروبولوجي المسيحي، يحتفظ الجسد بقداصة مستمدة من اعتقاد التجسد الإلهي.
- ترى الإنسانية المتحولة أن القيمة الجسدية تكمن في مدى تحقيقه للمنفعة الإنسانية وتوسيع قدرات الفرد، أما بتحسين الجسد وهندسته بهدف إطالة العمر وبلوغ الخلود حتى لو أدى ذلك إلى تجاوز الصورة البيولوجية "الطبيعية" للإنسان، أو دمج الإنسان مع الآلة لإنتاج نوع إنساني جديد يمثل القطيعة مع الإنسان الحالي ويتجاوزه.
- وفي المقارنة بين الفكرين: أظهرت المقارنة أنه رغم وجود تباين بين الفكرين - موضع الدراسة - في المرجعية المعرفية والأخلاقية؛ حيث يستند التصور المسيحي إلى رؤية دينية محرفة، بينما تنطلق الإنسانية المتحولة من منظور براغماتي نفعي، إلا أن هناك تيارات مسيحية قد اندمجت مع الإنسانية المتحولة مخضعة النصوص الدينية المسيحية لرؤية الإنسانية المتحولة، سواء خطاب التحسين والتعزيز الجسدي والذي يمثله اللاهوتي نيوكولا فيدوروف وأنصاره، أو خطاب تجاوز الجسد (التفرد التكنولوجي) والذي يمثله الكاهن دي شاردان وأنصاره، إذ حصل الاتفاق في الرغبة بتجاوز القيود البيولوجية وقبول التقنية كوسيلة للتطور، والسعي إلى الخلود أو البقاء الممتد؛ سواء كان الخلود روحياً - جسدياً (اللاهوتية المتحولة) أو رقمياً - بيولوجياً (الإنسانية المتحولة - التفرد التكنولوجي).

التوصيات:

- أفضت هذه الدراسة في سياق مسارها البحثي إلى استنباط جملة من المقترحات البحثية ذات الطابع البيئي، تتقاطع فيها دراسات الأديان والفلسفة مع مقاربات التقنيات المعاصرة، وهي كالتالي:
- الجسد في اليهودية والنصرانية والإسلام في مواجهة الثورة البيوتكنولوجية.
 - الموت والبعث الجسدي: مقارنة بين الرؤية المسيحية (الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية) والرؤية ما بعد الإنسانية.
 - الوعي بين الرؤية الأنثروبولوجية المسيحية وفلسفات ما بعد الإنسانية في ظل التحولات التكنولوجية المعاصرة.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

- 1 - أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، زينب محمود الخضري، دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة، 1983م.
- 2 - الاعترافات، أوغسطين، تحقيق: إبراهيم غالي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون والحكمة، تونس، ط1، 2012م.
- 3 - الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيا الثقافية، وحدة الجسد، إبراهيم الزهرة، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2009.
- 4 - الأنثروبولوجيا المسيحية، الإنسان على صورة الله كماله، فاضل سيداروس اليسوعي، دار المشرق، ط1، 2012م.
- 5 - الأنثروبولوجيا، أسس نظرية وتطبيقات عملية، محمد الجوهري، دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية، ط1، 1976م.
- 6 - البيولوجيا ومصير الإنسان، سعيد محمد الحفار، دار المعرفة، الكويت، 1990م.
- 7 - التأملات في الفلسفة الأولى، رينيه ديكارت، ترجمة: عثمان أمين، آفاق للنشر والتوزيع - القاهرة، ط1، 2020م.
- 8 - التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، طباعة الكنيسة الكلدانية بربطانيا، لندن، إعداد: الشماس جورج يلدا، 2012م.
- 9 - التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي، نيك بوستروم وستيفن بكو، ترجمة: حسين عبد الغني، دار رؤية - مصر، ط1، 2023م.
- 10 - الخلود البيولوجي، حسن الخاطر، أطياف للنشر والتوزيع - السعودية، ط1، 2014م.
- 11 - الفلسفة الوسيطة، إدوارد جونو، ترجمة: علي زيعور، دار الأندلس للطباعة والنشر - بيروت، ط3، 1982م.
- 12 - الفلسفة اليونانية، مقدمات ومذاهب، محمد بيصار، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1973م.
- 13 - الكنيسة الأرثوذكسية، إيمان وعقيدة، تيموني وير، منشورات النور، بيروت، 1982م.

- 14 - المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جينبير، ترجمة: عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت).
- 15 - النفس، أرسطو، تحقيق: أحمد الأهواني، مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة، ط2، 1962م.
- 16 - تاريخ الفلسفة الغربية، برتراند رسل، ترجمة: زكي محمود، مراجعة: أحمد أمين، لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة، ط2، 1968م.
- 17 - تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة، ط2، 1945م.
- 18 - جمهورية أفلاطون، أفلاطون، ترجمة نظلة الحكيم - محمد مظهر سعيد، أقلام عربية للنشر والتوزيع - القاهرة، 2019م.
- 19 - حضارة البشرية - الجسد وما بعد الجسد في الثقافة المعاصرة، سيراتاج تيمور دمير، ترجمة: أحمد فهد يوسف، مؤسسة دراسات تكوين - مصر، ط1، 2022م.
- 20 - حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، القس فايز فارس، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، ط2، (د.ت).
- 21 - دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد ضياء الأعظمي، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 2003م.
- 22 - رسائل الآحاد بعد العنصرة (كلمات آباءية)، دير مار ميخائيل، تعاونية النور الأرثوذكسية للنشر، ط2، 2005م.
- 23 - ساعتنا الأخيرة، إنذار من عالم، مارتن ريز، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، دار العين - القاهرة، ط1، 2006م.
- 24 - غسق الأوثان، فريدريك نيتشه، ترجمة: فاطمة خالد صالح، دار تواصل للطبع والنشر، القاهرة، 2021م.
- 25 - في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام، محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية.
- 26 - قاموس الأنثروبولوجيا، شاكر مصطفى سليم، جامعة الكويت، ط1، 1981م.
- 27 - ما بعد الإنسان، روزي بريدوتي، ترجمة: حنان مظفر، المجلس الوطني للثقافة والفنون، ط1، 2021م.
- 28 - مدخل إلى علم الإنسان، عيسى الشماس، اتحاد الكتاب العرب - دمشق، 2004م.

- 29 - موجات جديدة في فلسفة التكنولوجيا، جان كيرو وآخرون، ترجمة شوقي جلال، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2018م.
- 30 - نقاط على الحروف، الأرشمندريت توما بيطار، دير القديس سلوان الألويسي - دوما، 2008م.
- 31 - هكذا تكلم زرادشت، فريدريك نيتشه، ترجمة: فليكس فارس، نور للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2023م.
- 32 - هل نحن بلا نظير، جيمس تريفل، ترجمة: ليلى الموسوي، المجلس الوطني للثقافة والفنون - الكويت، 2006م.

المراجع الأجنبية:

- 1 - Anthropology of chivstianity, T.Haynes, N.& Robins.
- 2 - How we became posthuman: Virtual Bodies in eybetneties, literature and informatics, Katherine Hay le, library of congress cataloging ing publication Data, chicago, 1999.
- 3 - L'adieu au corps, David le Breton, Metaille, coll, 1999.
- 4 - L'oeil et l'esprit, Merleau pony Maurice, Galliard, France, 1964.
- 5 - La legitime parole: de l'Eglise sur lea transhumanisme p. Nathanael Garric, postoralia, No5 Dossier: le transhumanisme, Achidiocese de Malimes, Bruxells, mai 2015.
- 6 - La revolution transhumaniste, L. Ferry, Paris, departement d'edie & france: edition plan.
- 7 - Le transhumonisme foutil avoir peur du l'avenir, jouest-Courturier, paris, groupe eyrolles.
- 8 - The Future of man, peirre Teilhard de-chardin Translated by Nermaa Denny Mage Books, Doubleday -New york, 1955.
- 9 - The phenomenon of man, pierre Teilhard de - chardin, Harper colophon Books, Har per & Row publisher, second edition, 1956.
- 10 - The russian cosmists, The Esoteric- Futurlsm of Nikolai Fedorov and his Followers, George M.young, oxford university press, New your, 2012.

المجلات العربية:

- 1 - المجلة المصرية للعلوم الاجتماعية والسلوكية ، مؤسسة تواصل للدراسات والتوعية الثقافية ، العدد (10) ، 2024م.
- 2 - مجلة ألف: اللغة، الإعلام، والمجتمع، مجلد (10)، العدد (1)، 2013م.
- 3 - مجلة عالم الفكر، مجلد (37)، العدد (4)، 2009م.

المجلات الأجنبية

1. Journal of Evolution and Technology - Vol. 20 Issue 1 –December 2008.
2. Volume2, Issue6-November 2008 -Religion Compass,

المواقع الإلكترونية

1. <http://jetpress.org/v20/steinhart.htm>
2. https://teiharddechardin.org/teihard-de-chardin/teihards-publications/?utm_source=chatgpt.com



مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة دولية شهرية علمية محكمة

الترقيم الدولي الإلكتروني : ISSN : 2410- 521X

الترقيم الدولي الورقي : ISSN : 2410- 1818

البريد الإلكتروني : journal@andalusuniv.net

المجلة مفهرسة في المواقع الآتية :



2024	2023	2022	2021	2020	العام
0.3068	0.3759	0.1954	0.2692	0.0366	معامل أرسيف
1.55	1.25	1.73	1.60	1.60	معامل التأثير العربي